OPEN ACCESS
Journal of A rabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk

دور الأدب المقارن في تقريب الآداب الإسلامية

(قصة مجنون ليلى – أنموذجا)

The Role of Comparative Literature in Expressing the Similarities between Different Islamic literatures

❁ **دكتور يارزمان منگل**

الأستاذ المشارك بجامعة كابل– افغانستان

Abstract

By highlighting and expressing the importance of comparative literature in monotheism, the present article depicts Islamic literature and its closeness to each other in all parts of the world. First of all, comparative literature acknowledges the universality of Islamic literatures from the earliest days, and in this regard, the influence of Arabic literature on some other literatures is also a good proof of this claim. The purpose of this article is to express the differences, similarities and the role of comparative literature in the monotheism in Islamic literatures as well as depicting the literary possessions of different nations and the role of comparative literature in monotheism.

This article deals with the issue of the origin and interaction between Arabic and Pashto literatures in the storytelling of the literates of the said literature in a comprehensive way. The story of Layla and Majnun has been selected as a literary example in the mentioned literatures. Story literature is not specific to one nation or group, but it includes the mental and intellectual exudations of human beings all over the world. Findings show that the versions of Layla and Majnun story have many similarities in terms of the story and also in terms of the protagonist of the story in Arabic (Qays is Majnun's counterpart in Arabic), Pashto literature, but they also have differences.

Keywords: The Role of Comparative Literature, Layla and Majnun, Islamic literatures, Chaste Pure Love, Sufi Love

الملخص:

تشير هذه الدراسةُ إلى إبراز أهمية الأدب المقارن في توحيد الآداب الإسلاميّة وتقريب بعضها من بعض وإيصالها إلى جميع أنحاء العالم؛ إذ اعترفَ الأدب المقارن منذ بداياته بعالميّة الأدب الإسلاميّ، وأثر

بعض الأعمال الأدبيّة العربيّة في آداب الأمم الأخرى، ومن هذه الأعمال: قصة مجنون ليلى، وقصة حيّ بن يقظان وكتاب ألف ليلة وليلة وكتاب كليلة ودِمنة، وخلصت الدراسة إلى أن الآداب العربية والكتب كان لها الأثر البليغ في الآداب العالمية عامة وفي الآداب الإسلامية خاصة وتتركز الدراسة هنا على عمل واحد وهو قصة مجنون ليلى بين الأدبين العربي والبشتوي حتى يكون بمثابة نموذج رائع في حقل الأدب المقارن الإسلامي.

تلقي هذه الدراسة ضوءا على قصة مجنون ليلى بين الأدبين (العربي والبشتوي) وتتحدث عن منشأ القصة في الأدبين ومدى التأثير والتأثر بينهما، وتثبت أن الأدب القصصي ليس حكرا على شعب دون شعب، بل هو انتاج فكري عالمي انساني، وتقف على أوجه التشابه والتباين الواردة حول القصة في الأدبين...

هذا بحث جديد في حقل الدراسات المقارنة عامة وفي الأدب المقارن خاصة بين اللغتين العربية والبشتوية فبذلت قصاري جهدي في هذا الصدد كي أستخرج ببحث في منتهى الدقة والروعة، وأن يكون نافعا للقراء وذُواق الأدب المقارن...

الكلمات المفتاحية: الأدب المقارن- مجنون ليلى، الأدب الإسلامي، الحب العفيف، الحب العذري...

المدخل:

هذه الدراسة تكشف لنا عن حقيقة مسلم بها في الدراسات المقارنة، وهي ضرورة تعاون الآداب وإفادتها بعضها من البعض الآخر، وتبادلها التأثير فيما بينها لتغني وتكمل في أجناسها الأدبية و تياراتها الفنية والفكرية. وهذا أساس التطور المثمر، وسبيل نشدان الكمال. وهذا ما سار عليه أسلافنا من العرب والمسلمين بعامة...

حدد النقاد والباحثون عوامل أساسية للعالمية في الأدب منها على سبيل المثال لا الحصر:

- الموقف الإنساني هو الأساس: إن المعيار الأساسي للعمل الجيد هو إضاءة جوانب من موقف الإنسان في غمرة الصراح الفردي، الإجتماعي، او الإيديالوجي. ويمكن أن ينطبق على رسالة الغفران و شكسبير وغيرها...
- اللون المحلي ونكهته الخاصة: هناك أعمال خالدة لا يرجع سبب خلودها إلى طبيعة الموقف الذي يقترحه من قضية الإنسان، ولكن إلى ما تتمتع به من نكهة محلية وشخصية قومية او إقليمية خاصة، ويمكن أن ينطبق هذا على أعمال تولوستوي وغيرها...
- الإبداع الفني شرط مهم: لا بد من توفر شرط الإتقان الفني لأي عمل فني يرشح نفسه للعالمية او الخلود ويمكن أن ينطبق هذا على قصة مجنون ليلى في الآداب الإسلامية..

بحثي هذا بهذه الصورة بحث جديد وبكر، لم أعثر على كتاب أو رسالة فيما أعلم في هذا الموضوع بهذا الهيكل قد أقيمت دراسات مقارنه من قِبلِ بعضِ الكتاب العرب في كتباتهم بين اللغة العربية واللغة الفارسية وأشاروا إلى قصة ليلى والمجنون من بعيد أوقريب، وبينوا أوجه التشابه والتباين بينهما، لكنني لم أقف على تأليف أو أثر مستقل يتحدث عن حكاية ليلى والمجنون بين الأدبين (العربي والبشتوي) ومدي التأثير والتأثر بينهما، وأعتقد أنني أول من سأضع قدمي في هذا الميدان.

يتكون هذا البحث من ملخص ومدخل و نبذة عن وجود مجنون ليلى في الأدب العربي و ليلى والمجنون في الأدب البشتوي، ثم النتيجة التي توصل إليها الباحث، و في الأخير قائمة المصادر.

سأتبع منهج الدراسات المقارنة في دراسة الموضوع. وسأبين فيه نماذج عديدة من أنواع تلك الدراسات ففيه دراسة شخصية "مجنون" في الأدبين، وقد ميزت بين أخباره التاريخية والأسطورية في العربية، مبينا كيف كان الجانب الأسطوري العربي سبيلا إلى انتقاله للأدب البشتوي صوفيا، بعد أن كان في أشعاره العربية مجرد محب عذري. وسأحلل جوانبه النفسية على حسب أشعاره العربية، ثم على حسب الأشعار في القصص البشتوية، وسأشرح كيف غنيت شخصيته الإنسانية والروحية في الأدب البشتوي.

وتتطلب دراسة الموضوع تتبع نشأة القصة في اللغة العربية، وبيان الجنس الأدبي الذي تتدرج تحته أشعار المجنون، ثم كيف تم انتقالها من الأدب العربي إلى الأدب البشتوي، وسأتطرق هنا إلى ذكر القصتين في كلا الأدبين بإيجاز غير مخل...

مجنون ليلى في الأدب العربي

كان هم الدارسين لموضوع ليلى والمجنون هو بحث مسألة وجود" قيس" المجنون، تاريخيا أوعدم وجوده. يظلون عند حدود هذه المسألة لا يكادون يتعدونها. فيقفون عند حدود الرواة؛ إما أن يتشككوا في وجوده نزولا على بعض ما روى من أخبار؛ وإما أن يعترفوا بوجوده سيرا مع الروايات الأدبية الغالبة؛ ولكنهم لا يعللون للصحيح منها والمدخول تعليلا وافيا صحيحا. ولكن من الأنسب أن نقول أن لأخبار قيس لها من تأثير في الآداب الأخرى، فيجدر بي أن أتحدث عن شخصية قيس كما وردت في أشعاره، ثم عن شخصيته الأسطورية كما تؤخذ من أخباره، موضحا كيف انتقلت شخصيته التاريخية إلى مجال الأدب والأساطير، وكذلك كان هذا الانتقال في الوقت نفسه سببا في صبغ شخصية قيس صبغة صوفية انتقلت بها إلى الأدب البشتوي خاصة و إلى الآداب الإسلامية الأخرى بعامة، وسألقي ضوءا على هذه المسائل المذكورة إن شاء الله.

يقول الأصمعي: "سألت أعرابيا من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري، فقال: عن أيهم تسألني؟ فقد كان فينا جماعة رموا بالجنون، كل منهم يشبب بليلى. قلتُ: أنشدني لبعضهم. فأنشدني لمزاحم بن الحارث المجنون: (1)

ألا أيها القلب الذي لجا هائما بليلى وليدا لم تقطع تمائمه

أفق قد أفاق العاشقون وقد أنى لك اليوم أن تلقي صديقا تلائمه

أجدك لاتنسيك ليلى ملمة تلم ولا عهد يطول تقادمه

قلتُ: أنشدني لغيره منهم. فأنشدني لمعاذ بن كليب المجنون:

ألا طالما لعبت ليلى و قادني إلى اللهو قلب في الحسان تبوع

وطال امتراء الشوق عيني كلما نزفت دموعا تستجد دموع

فقد طال امساكي عن الكبد التي بها من هوى ليلى الغداة صدوع

قلت له: فأنشدني لمن بقي من هؤلاء. فقال لي: حسبك! فوالله إن في واحد من هؤلاء لمن يوزن بعقلائكم اليوم"

والجملة الأخيرة تدلنا على أن هذا الخبر المروي عن " الأصمعي" ذو دلالة صوفية خاصة. فصفة الجنون التي وصف بها هؤلاء الشعراء ليست صفة ذم، بل هي من أعلى صفات المديح. لأن صاحب الرواية السابقة يرى أن مجنونا واحدا يوزن بعقلاء عصر" الأصمعي" أجمعين. فكان الجنون الصوفي صفة الحكماء الزهاد. وهم "عقلاء" المجانين من الناس. والناس تمسي الحكماء مجانين لأنهم يخالفونهم في عاداتهم، فيجيئون بما ينكرون، ولكن ما يأتونه محمود في واقع الأمر. وانتشار هذه الصفة في المجتمع الإسلامي لذلك العهد، بهذا المعنى الصوفي كانت من الأسباب التي أضفت على شخصية قيس صبغة صوفيه"(2).

وما وصل إلينا من أخبار قيس سبيله الرواية- شأن قيس في ذلك شأن غيره من الشخصيات- ومن الرواية ما يخطئ ويصيب. ولم يكن الخطأ في بعضها ذريعة لنفيها جميعا، وإلاتعرضت أكثر الشخصيات للشك فيها. وإذا كان الأمر كذلك في التاريخ عامة، فما بالك بالشعراء من أهل البادية في ذلك العهد السحيق، وخاصة بشاعر كالمجنون اتخذه الناس مثلا للعشق الصادق الذي يصرع صاحبه، وكا بذلك موضع أحاديث كثيرة من معاصريه.

وأشهر اسم عرف به" قيس" موضوع دراستنا هو: " قيس ابن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة"وليلى التي هام بها هي" ليلى بنت مهدي بن سعد بن كعب بن ربيعة"(3) وقد نشاء كلاهما في بيت ذي ثراء وفر وخير كثير. ويبدو أن قبيلته كانت أسمى مكانة من قبيلتها. وكان أبوه سيد الحي، له إخوة غيره يفضله عليهم(4).ويفهم من بعض أخباره وأشعاره أنه كانت بين أهل ليلى وأهله عداوة قديمة فهو يقول:(5)

يقولون ليلى أهل بيت عداوة بنفسي ليلى من عدو و ماليا

ولو كان في ليلى شذا من خصومة للويت أعناق المطي الملاويا

وكان قيس أجمل فتيان قومه وأظرفهم، وأكثرهم رواية لأشعار العرب، وأحسنهم فيهم أفاضة. يقال إنه علق ليلى منذ كانا صغيرين يرعيان مواشي أهلهما، فلما كبرا حجبت عنه، فازداد بها هياما، ويدل على ذلك قوله:(6)

تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابه ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا إلى الآن لم نكبر ولم تكبر البهم

وتدور أحداث حياته الكبرى حول ميلاد الحب بينه وبين ليلى والتشبيب بها وحرمانه من الزواج حين خطبها والوساطة لدى والدها كي يزوجه إياها، ثم زواج ليلى من غيره، و نتائج هذا الزواج، وما حف بذلك كله من أحداث وما تولد عنه من مصير" قيس".

ويروي صاحب الأغاني فيما يرويه أن المجنون أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة. وعليه حلتان من حلل الملوك فمر بامرأة من قومه يقال لها "كريمة" وعندها جماعة نسوة يتحدثن فيهن ليلى. فأعجبهن كماله وجماله، فدعونه إلى النزول والحديث. فنزل وجعل يحدثهن. وأمر عبدا له فعقر لهن ناقته... فبينا هو كذلك إذ طلع عليهم فتى عليه بردة من برد الأعراب يقال له منازل... فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنون، فغضب وخرج من عندهن وأنشأ يقول: (7)

أأعقر من جرا كريمة ناقتي ووصلي مفروش لوصل منازل

إذا جاء قعقعن الحلى ولم أكن إذا جئت أرضي صوت تلك الخلاخل

متى ما انتضلنا بالسهام نضلته وإن نرم رشقا عندهن فهو ناضل

فلما أصبح لبس حلة وركب ناقه له أخرى، ومضى معترضا لهن، فألفى ليلى وقد علق حبه بقلبه مثل ما علق بقلبها.

وغلبت قيسا حاسته الفنية، فعبر عن حبه، وشبب بليلى، ولذ له هذا التشبيب فأكثر منه، وطارت أشعاره بين القوم[1] تشبيبا بحبيبته. وكان ذلك مما تنقم عليه العرب وتعده عارا، تحرم على من يشبب بفتاة الزواج بها. فكان شعر "قيس" في التشبيب مبعث ما انتهى إليه أمره من مأساة. ولذا كان طبيعيا أن يرفض الوالد طلب الزواج تمشيا مع ما تقضي به التقاليد وخوفا من العار، ولكن "قيسا" لم يستسلم لهذا الحرمان، فكان يأتي غفلات الحي ويتصيد الفرص للقائها(8).

ومن حيله للقائها أنه كان يتردد على امرأة في حي ليلى مات عنها زوجها يتعرف منها أخبار ليلى. فلما بلغ أهلها ذلك زجروا المرأة وتوعدوها، وحين جاء"قيس" أخبرته المرأة بخبرهم فأنشد:(9)

أجارتنا إنا غـريـبان هـهنا وكل غريب للغريب نسيب

فلا تزجريني عنك خيفة كاشح إذا قال شرا أو أخيف لبيب

وضاق أهل "ليلى" به ذرعا فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه لهم، و لكنه لم يبال بالخطر، و كان يغشى حي ليلى ويقول: الموت أروح لي. فارتحل أهل ليلى عن مكانهم وابعدوا، وجاء"قيس" ليلا فرأى ديارهم بلاقع، فألصق صدره بمنزل"ليلى" وأخذ يمرغ خده في ترابه وينشد:(10)

أيا حرجات الحي حيث تحملوا بذي سلم لا جادكن ربيع

وخيماتك اللاتي بمعرج اللوى بلين بلى لم تبلهن ربوع

1

وبلغ البلاء أشده بقيس حين خطبت ليلى إلى أهلها، وقد جزعت هي لذلك جزعا شديدا لما أصاب"قيسا" من توله بها، فسقمت و حج بها أهلها رجاء أن تشفى من سقمها. وهناك رآها ثري من بني ثقيف يدعى "وردا" فأعجب بجمالها، وطلب يدها إلى أبيها. وفي ذلك يقول قيس:(11)

ألا إن ليلى العامرية أصبحت تقطع إلا من ثقيف حبالها

هم حبسوها محبس البدن وابتغي بها المال أقرام، قل مالها

وأخذ يضرب على غير هدي في الأحياء والصحراء. وعز الأمر على أهله، فنصح بعض عقلاء قومه والده أن يحج به عله يجد به برءأ لما به ففعل، وقال له أبوه تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلى ولكنه قال حينذاك: " اللهم زدني لليلى حبا، وبها كلفا، ولا تنسى ذكرها أبدا"(12). ولما رأي الناس محرمين بمكة يدعون ربهم أنشد:(13).

دعا المحرون الله يستغفرونه بمكة وهنا أن تمحى ذنوبها

وناديت أن يا رب أول سؤلتي لنفسي ليلى ثم أنت حسيبها

فكم قائل قد قال تب، فعصيته وتلك لعمري توبة لا أتوبها

ويئس منه قومه، ويئس منهم، وأيقن أن لا نصير له من الناس، فآثر أن يعتزل الناس وقومه معهم ورأى في رحابة الصحراء متنفسا لهمومه، ينشد من الأشعار ما طاب له الإنشاد، بعيدا عن آذان الناس وأسماعهم، إذ كانت هذه الآذان والأعين رقباء عليه...

فكان يقيم أحيانا في الصحراء على مقربة من أهله، يأنس في هذه الفيافي بالوحوش والطير ويذهب إليه كل يوم بطعام يوضع له حيث يراه، فإذا تنحوا عنه جاء فأكله، وكثيرا ماكان يعتريه ذلك حين كان يأتي جبل التوباد، فيتذكر آيام كان يرعى الغنم مع ليلى حبيبته، فيجزع جزعا شديدا ويضرب في الصحراء لا يدري أين هو، وظلت حياته في الصحراء رتيبة ما بين سفر و إقامة، وطال شعر جسده

ورأسه، نما أظفاره فصار أقرب إلى الوحشي منه إلى الأدمي، فتألفه لذلك الوحوش، ويرد الماء معها(14).

وأما "ليلى" التي هام بها فقد كانت من أجمل النساء و أظرفهن وأحسنهن جسما وعقلا، وأملحهن شكلا ويصفها رجل من بني مرة فيقول: "فلقلة قمر لم تر عيني مثلها، وسأل نسوة المجنون في ليلى: ما أعجبك منها؟ فقال: كل شيء رأيته وشاهدته وسمعته منها أعجبني، والله ما رأيت شيئا منها قط إلا كان في عيني حسنا وبقلبي علقا، ولقد جهدت أن يقبح منها عندي شيء أويسمع أويعاب لأسلو عنها فلم أجده، فقلن له فصفها لنا. فأنشاء يقول:(15)

بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسط جنح ليل مبرد

وترى مدامعها ترقرق مقلة سوداء ترغب عن سواد الإثمد

خود إذا كثر الكلام تعوذت بحمى الحياء وإن تكلم تقصد

وتلك صورة جميلة لفتاة جمعت كثيرا من المفاتن وحسن الخلق، وسواء كانت ليلى على هذا القدر من الجمال وطيب الشمائل، أم كانت كذلك في عين"قيس" وحده، فإن الرواة الذين ساقوا من أخبارها قد ذكروا أنها كانت شاعرة ذكية لبيبة.

تلك هي بعض السمات العامة لشخصية ليلى كما وصفها "قيس" وكما وردت بها أخبار الرواة التي أفاد منها شعراء الأفغان(البشتون) في قصصهم.

شخصية قيس:

يجمل بنا أن نتعرف على شخصية قيس بعد أن لخصنا أخباره كما هي مرتبين إياها في شبه قصة، ليسهل بعد ذلك معرفة آثارها في الدراسة المقارنة.

وسبيلنا إلى تعرف شخصية قيس أمران؛ أن نبحث أولا عن جوانب هذه الشخصية في أشعاره المروية، لنجلو نواحيها النفسية، ونكشف بذلك عن عمق تجربتة العاطفية، بما حالو به تصويرها في شعره تصويرا مختلف الألوان عميق الدلالة، ثم بعد ذلك نمحص أخباره في ضوء هذا التحليل.

أ- أما التعرف على شخصية "قيس" من شعره، فمن المسلم به أن الجانب العاطفي فيها قد طغى على ما سواه. فقد كان قيس ممن استغرقوا في عاطفتهم وصدقوا فيها وعاشوا لها. وعلى الرغم من ذلك نلمح في بعض أشعاره ما يدل على جوانب أخرى من شخصيته. فمن ذلك أن يضيق بإشفاق.

ولا شك أن"قيسا" كانت تعتريه فترات صحو وإفاقة وهي التي قد سجل فيها- فيما وصل إلينا من الأشعار- خلجات نفسه، و ألوان مشاعره، إذ لايمكن لمن يدوم على حاله من اختلاط العقل أن يهتدي إلى ذلك التحليل النفسي الذي صور به "قيس" نفسه في أشعاره. وفي هذا دليل على نوع عاطفة قيس، وعلى أصالته فيها واستغراقه. وهي عاطفة كرس"قيس" كل وجوده لها. فما لبث أن تسامي بها كل التسامى.

ب- أما شخصية قيس كما وردت إلينا في أخبار، فلا شك أن الأخبار التاريخية فيها قد اختلطت بسمات أخرى أسطورية. وهذه السمات الأخيرة كلها ذات طابع صوفي. وقد كانت مبعث إنكار شخصية "قيس" التاريخية عند من وقفوا عند ظاهرها دون تمييز بينها وبين الأخبار التاريخية الصحيحية، ثم دون محاولة منهم لتعليل هذه الأخبار الأسورية و رجعها إلى روح عصر الرواة الذين رووها لنا.

فمن ذلك أن"قيسا" لقب بالمجنون، واشتهر بهذا اللقلب. ولم يكن للمجنون في الأصل معنى سوى التعبير عن استغراق "قيس" في عاطفته، وطغيان هذه العاطفة على جوانب شخصيته. وهذا أمر طبيعي في كل من يتسغرق في فكرة أيا كان نوعها. و أولى أن يصدر مثله عن "قيس" وحاله ما ذكرنا من قبل. وبهذا المعنى ورد ذكر الجنون في شعر" قيس"كما في قوله:(16)

ما بال قلبك يا مجنون قد هلعا في حبِّ من لا تَرى في نَيْلِهِ طَمَعَا

وطبيعي كذلك أن يصفه بهذه الصفة من يراه، لطغيان عاطفته على كل قواه. فهو مشغول عما يسمع ويرى حتى ليظهر لمحدثه أنه يصغى إليه، وهو في الحقيقة لاه عن حديثه، وسبق أن ذكرنا ما يدل على ذلك من شعره. وهو ذا يذكر وصف الناس إياه بالجنون لما يلحظون من أحواله:(17)

يسمونني المجنون حين يرونني نعم بي من هوى ليلى الغداة جنون

ليالي يُزهى بي شباب وشرة وإذ بي من خفض المعيشة لين

ولكن صفة "الجنون" أولت فيما بعد، و دخلت بهذا التأويل في باب الأسطورة. و كان مبعث ذلك ما منحه الصوفية هذه الصفة" صفة الجنون" من معنى سبق أن شرحناه. والجنون بهذا المعنى الصوفي طريق المحبة الحقيقية لله، والزهد في أمور الدنيا. وهذه هي سبيل النجاة. لأن الوجد سبيل معرفة الله والهيام به والاستغراق في حبه.

فقيس هنا ليس هو الشخصية التاريخية، ولكنه الشخصية الصوفية كما أرادها الصوفية أن تكون من باب تأويل أخباره، والتوسع فيها لضمه إلى صفوفهم. وهذا هو الأصل كذلك في أنهم عزوا إليه أنه كانت تألفه الحيوانات، وأنه كان لا يتناول من الطعام إلا ما تنتجه البرية وهي صفات تدخل في باب تصويف"قيس" كما هو واضح.

هذا إلى أن عزلة "قيس" قد أضيفت عليها كذلك صبغة صوفية. وفي الحق لم تكن عزلته في أخباره التاريخية إلا استغراقا في عاطفته، وضيقا بالناس، شأنه في ذلك شأن كل ذوي العواطف المشبوبة. تلك هي الصوفية التي دخلت في أخبار"قيس" فنقلته من مجال التاريخ إلى أن صار شخصية صوفية أسطورية، فأصبح قالبا مرنا للآراء الفلسفية الصوفية في مجالس الصوفية، وفي أشعارهم و قصصهم. وإنما تدل على روح العصر الذي تنوقلت فيه أخبار"قيس" . وتمييز أخباره المدخولة من أخباره الصحيحة هو طريق الاهتداء إلى سبب دخول "قيس" مجال الأدب الصوفي. وهي مهمة الباحث في الدراسات المقارنة المثمرة.

قصة مجنون ليلى في الأدب البشتوي

موضوع هذا المبحث هنا هو عرض النص البشتوي الأدبي الشعري عرضا موجزا، ما دام مؤلفه من البشتون(الأفغان) عالج فيه حكاية مجنون ليلى.

وسأقتصر على كبار الشعراء والكتاب البشتويين الذين جعلوا مجنون ليلى موضوعا مستقلا لأعمالهم الأدبية، ونترك هؤلاء الكتاب والشعرء الذين تناولوا الموضوع فى أبيات أو إشارات متفرقة فى أثناء مؤلفاتهم لأنها كثيرة لا تعد ولا تحصى، ويتعذر حصرها، ولا نهدف الجمع والاستقصاء، بل غايتي هي

دراسة الموضوع وتطورة في الأدبين، سأكتفي بعرضها في صفحات متتابعة، مع تلخيصها تلخيصا أرجو أن يكون وافيا، تمهيدا لنقدها وبيان تأثرها بالأدب العربي.

مجنون ليلى لشاعر سكندرخان ختک:

اسمه سكندر بن خوشحال خان ختك، ولد الشاعر حوالى عام (1068هـ) فى مدينة أكوره ختك وتعد قصته (مجنون ليلى) أول قصة ألفت فى الأدب البشتوى، صححها وقدم لها المحقق دوست شينواري بإهتمام محمد شيرين سنكري عام (1358هـ ش). وله ديوان شعر حققه دوست محمد كامل عام(1952م) فى بيشاور. أما قصته مجنون وليلى لم يترجمها من لغة أخرى، وهو نفسه صرح بهذا فى مقدمة قصته يقول:(18)

د مجنون اود ليلى احوال مې ووې دا زړې خبرې واړه کړې ما نوې
ما يو تاربارىك دنظم ورنه ساز کړ لاس د فکرمې په وار ورته دراز کړ
په محنت کړې ما له هره ځايه ټولې ترې مې واخستې ابدارې کولى کولى

أي: قد بينت أحوال مجنون وليلى و جددت الأقوال القديمة، وقد نظمتها فى سلك بعد أن مددت إليها يد الخيال وجمعتها من أماكن متفرقة واخترت منها الدرر الغالية.

يبدو أن الشاعر اعتمد على الروايات الشعبية التى شاعت على ألسنة الناس فى تلك الفترة، فأخذها الشاعر رتبها ونظمها فى سلك البيان المثنوى وقدمها للناس فى ثوب جديد، ونظم قصتها في مقاطع متعددة، و وضع لكل مقطع عنوانا جديدا. وستدور دراستنا حول هذه القصة أولا؛ لأنها أكمل صورة من غيرها، وتصل عدد أبياتها إلى (2084)بيت.

وبدأ الشاعر قصته بحمد لله سبحانه وتعالى ثم جاء بمناجاة الله سبحانه وتعالى، ثم مدح النبى صلى الله عليه وسلم، و أورد مقطوعات شعرية يعظ ابنه وينصحه، ثم أورد حكايتين صغيرتين تأييدا لما قاله لابنه، ثم ذكر مقطوعات شعرية لا تمت بصلة إلى القصة. ولضيق المكان هنا أكتفي بأن أحيل القارىء على ترجمتي لبعض مشاهد قصة هذا الشاعر الكبير ليرى صورة صادقة لهذه الخواطر، ثم يأخذ سكندرخان في نظم قصة مجنون ليلى على هذا النحو:(19)

كوينده چې د ماضى حكايت كاندي په قصه کې کوره څه روايت كاندى

چې په ملک کې دعرب خجسته نوم و دی په عقل په دانش هر کوره سلوم و
هم بهتر په قبیله کې د عرب و هم مهتر په قبیله کې د عرب و
بیا هم ښه قوی نسب، قوی تبار و پښت په پښت اعلی حسب اعلی وقار و
بی حسابه یی دولت و شمار یې نه و چې یې نه کیده پسر په کار یې نه و

راوي القصة عندما يحكي عن الماضي، لاحظ كيف يروي لنا هذه القصة، كان هناك ملك عظيم من ملوك العرب، ذو عقل وعلم، ، و ذو نسب أصيل و رفيع في قبيلته في العرب، ذو جاه و مال وافر، ولكنه لا ولد له ولا عقب، فلم يكن يهمه المال والجاه، وكان ذا نسب قوي في قبيلته، واكتسب هذه المكانة جيل بعد جيل... ثم بدأ يتحدث الشاعر عن وجود أهمية الولد في الأسرة، و يركز على أن كل أسرة وقبيلة أساسها الأولاد الصالحين، ولا خير في الأولاد الطالحين... ثم استمع الله دعاء والده حين تضرع إليه، فمنحه ابنا كالبدر جمالا:(20)

لکه ګل هسې له پوسته را بیرون شو له هوسه پرې کردان اسمان ګردون شو
بیا د کلی د محلت ښځې هوښیارې په ساتنه د هلک شوې غمګساری
چې ښکاره هغه زمان وچاته زوی شو زیری دا دی چې پیدا افتاب روی شو
په دریمه ورځ یې جوړه په هلک کړه هم دقیس نامه په غوره یو ملک کړه
چې هلک موصوف په اسم د خپل نام شو طلب کړونی په مراد شو په خپل کام شو

مثل الزهر تخرج من كمامه، وصار السماء مزينا بزينته، فاجتمع نساء الحي واهتمن برعايته، بعد أن ظهر الابن الجميل مثل الشمس، وجاء المبشر بنشر هذا الخبر السعيد، احتفلوا به يوم الثالث من مولده، وسماه أحد أسياد القبيلة "قيسا".

بيان حال المجنون في فراقه من ليلى:(21)

خوار مجنون چې لیونی د محبت ولیونتوب یې و عالم ته هدایت و
لیونی ورته مه وایه زما وروره چا چې ووې هغه وسونه بی اوره
دی سالک د عشق په لاره کې کامل و پرې ګومان د لیونتوب مه کړه عاقل و
چې په زړه کې یې د عشق دلمبو تاوو په دا جوش یې ځکه تل د شوندو کف و
دی سرخیل و د همه و غمنا کا نو سر حلقه و د همه سینه چاکا نو

المجنون المسكين الذي كان مجنونا في العشق، كان جنونه بمثابة الهداية للعالم، لاتقله مجنونا يا أخي، والذي سماه مجنونا فهو حريق بلا نار، فهو سالك في طريق العشق كاملا، لا تظن به مجنونا فهو عاقل، كان في قبله حرارة قبس العشق، لذا كان يظهر آثار هذه الحرارة في شفتيه، فهو كان قائد جميع الموجعين، وكان سيد المؤلمين...

رد ليلى على رسالة المجنون:(22)

چې ليلى ته شو ښكاره د خط مضمون په خون خون به يې ژړل دې په چون چون

لكه خط له ډيره قهره پيچ وتاب شوه ومجنون وته د خط په دا ځواب شوه

ستاد زړه احوال په خط كې راښكاره شو په ژړا مې خاطر درست پاره پاره شو

ستا د خط خبرې واړه دي بى خونده رحم نه كړې په ما ولې خود پسنده

هغه در لا هيڅ سړي نه دي پيلې هغه شهد لا كوم مكس نه دي ليدلې

لما اطلعت ليلى على محتوى الرسالة، بدأت تبكي دما على دم، مثل الرسالة لفت من شدة الغضب، وردت على رسالة المجنون بهذا الجواب، رأيت أحوال قبلك في رسالتك، قد خرق قلبي من كثرة البكاء، كلام رسالتك كله شر، لماذا لاترحم بحالي يا أناني، تلك الدرر لم ينظمها أحد، ذاك الشهد لم يذقه أحد.

الشي الذي سلمته إلي أمانة، احتفظت به ولم يتناوله أحد، أمانتك محفوظة مختومة، كلما أردته، جاءت رسالة فمك مليئة بالعار، كان مثل وضع الملح على جروحي، وصل إلى المجنون رسالة ليلى في رد رسالته، ووجدها مرهما على الجروح، فقبلها تقبيلا ثم احتفظ بها في العمامة، واعتبر هذه الرسالة دواء لمرضه، واقتنع به إلى حد ما(23)

وفات ليلى:(24)

هغه كل چې نندارە د درست جهان و ارايش د درسن د ګلستان و

ښايسته چې د بهار تر ګلو لا وه بل څوک نه وپه جهان كې خو ليلى وه

يوه شپه په زمكه پروته وه بې كټه اوښته د يار له غم سره لټ پټه

درسته شپه يې فرياد كړد زړه له سره دواړه سترګې يې كښې نه ښوى ترسحره

په صورت کې يې کرمي شوه غالبه ويښه نه وه لا په خوب کې شوه په تبه

الزهرة التي كانت منظر العالم كله، كانت بمثابة الجمال للآلي والبستان، كانت أكثر جمالا من أزهار الربيع، لم يكن في العالم سوى ليلى، في أحد الليالي سقطت على الأرض بلا سرير، تلف وتدور في ألم فراق المحبوب، الليلة كلها صرخت ألما، لم تنم عيناها حتى الصبح، غلبت الحمى على بدنها، لم تستيقظ من النوم حتى أخذتها الحمى...

بقيت ليلى في منزلها، ولزمت فراشها، فشاعت خبر مرضها، وتداولته الألسن وانتقل الخبر من لسان إلى لسان، أصبح خدودها زابلة مثل الوردة تخرج ماؤها، وصارت نحيفة كالشعرة... ففي النهاية أفضت بوصيتها إلى أمها... أن تبلغه أنها قضت نحبها حبا له و وفاء، وأنها سبقته إلى العالم الآخر تنتظره، وأنت أيضا سيلتحق بها..(25)

علم المجنون بوفاة ليلى:(26)

چې مجنون واوريدې دارنګه خبرې سپيرې خاورې يې په سر لوستې هم سرې

مرګه رايشه و ماته نن دې وار دى بې ليلى زما ژوندون کله په کار دى

چې د چا ښکلى اشنا په دنيا نه وي د هغه سړي مردن تر ژوندون ښه وي

د ليلى په نوم يې وکښل يو څو آهه په دا ياد يې له خولې وخاته ساهه

ومنزل ته د اشنا خوش وخرم لاړ د ليلى ليلى په نوم د مجنون دم لاړ

لما سمع المجنون خبر وفاة ليلى من تلك العجوز المقوسة الظهر، بدأ يلقي على جسمه و رأسه ترابا، فاستدعى الموت لنفسه، وقال: لا أريد الحياة بدون ليلى، والذي لم يبق حبيبه في الدنيا، فالموت أليق به من حياته، أخرجَ أهاتِ باسم ليلى من فمه، وخرج النفسُ من فيه بذكرها، و التحق بديار محبوبته سعيدا، ذاكرا اسم ليلى ليلى وخرج نفسه... هذا كان ملخص قصة مجنون ليلى في الأدب البشتوي اخترنا بعض المشاهد من من أول القصة و أنهيناها بأخر مشهد من القصة.

الخاتمة:

رأينا كيف نشأ الحب العذري عفا صادقا يجاهد فيه المحب نفسه اتباعا لعقيدته، فيبعد فيه عن متع الحواس ويتسامى بعاطفته. وكان قيس بن الملوح أو مجنون بني عامر أحد هؤلاء العذريين. وموضوع قيس بن الملوح كان قد اصطبغ في الأدب البشتوي بصبغة صوفية، فصار قيس محبا لليلى على طريقته الصوفية. وكان القلب والإيمان دعامتي الحب العذري، فقد تغنى الغزلون من العرب في شعرهم العذري بعاطفة صادقة يفيض بها قلب زاخر بمشاعره، وهكذا كان القلب والإيمان دعامتي الحب الصوفي، فإن الصوفية جميعا قد دعوا إلى اتخاذ القلب طريقا إلى الله...

على أن قيس بن الملوح قد غير لغته ووطنه حين انتقل من الأدب العربي إلى الأدب البشتوي، فلا بدع في أن يغير بعد ذلك بعض مظاهر بيئته وكثيرا من آرائه ومقومات ذاته. وكان أظهر خصائصه في الأدب البشتوي أنه أصبح صوفيا في عقدته وسلوكه وعيشه وحبه. وكان حب قيس الصوفي مرحلة أخرى تجاوز بها مرحلة الحب العذري فقد بدأ حبه لليلى إنسانيا عفا، ولكن حرمانه في حبه جعله يتسامى بعاطفته، وفتح له ذلك التسامي أبوابا من التفكير اهتدى منها إلى الغاية المثلى من الحب. وكان الفضل في إضفاء هذا الطابع الصوفي على أخبار المجنون للشاعر سكندرخان ختك.

ومن أثر هذه النزعة الصوفية أن ليلى في قصة شاعر سكندر ظلت عذراء، لا وفاء لحبها لقيس فحسب، بل لأنها كانت تعتقد أن الزواج أمر لم تخلق له، وكان قولها هذا صدى لآراء بعض الصوفية الذين يدعون إلى تفضيل العزوبة على الزواج.

و سأعرض النتائج في نقاط تالية:

- نجد أن قصة مجنون ليلى" حملت اسم " ليلى والمجنون " في الأدب البشتوي، وأن كلمة المجنون عند العرب غيرها في الأدب البشتوي، فالعرب أطلقوا كلمة "مجنون" على "قيس" عندما رأوا منه بعض التصرفات التي تخرجه عن دائرة العقلاء، بينما كتاب الأفغان قصدوا منها مصطلحا عاليا لدرجة من التصوف، وهي تعني الخروج عن سلطان العقل وقواعده، والانتقال إلى سلطان القلب.
- الشخصيات في القصة العربية؛ "قيس"، "ليلى، والد "قيس" والد "ليلى" "السلطان"، "ورد"، "ورقة بن مساحق"، "عمر بن عبدالرحمن بن عوف"، "قيس بن ذريح" صديق "قيس".

الشخصيات في القصة الأفغانية؛ "قيس"، "ليلى" والد "قيس"، والد" ليلى"، "سليم العامري" "ابن سلام" صديق"قيس"، والأمير"نوفل" والدة"قيس"، والدة"ليلى" وشخصيات جانبية صغيرة أخرى...

- تهدف هذه القصة في مبناها العربي إلى إظهار قيمة الحب في معناه العذري العفيف الطاهر، وكيف تمكن من قلب هذين العاشقين.

أما في الأدب البشتوي فقد تم تحويل هذا الحب من نظرة حب عفيف إلى حب صوفي، واكتمل فلسفته وصياغته من وجهة نظر الصوفية.

- الأحداث: أضاف الشاعر سكندرخان ختك أحداثا جديدة لم تكن في القصة العربية، منها:

- لقد ذكر قيسا على أنه كان ابن ملك عظيم ليس له ولد، فأخذ يبتهل إلى الله لكي يرزقه وريثا في عرشه وديارة. إلى أن حقق الله أمنيته وأنعم عليه بـقيس(مجنون).
- كذلك جعل كُتاب الأفغان منطقة اللقاء بين "مجنون" و"ليلى" هو المكتب للدراسة وطلب العلم، في حين أنها في القصة العربية كانت في البادية ومع رعي المواشي. كما جعل رفض والد"ليلى" "لمنجون" لأنه مجنون، في حين أن النص العربي يرى: أنه شبب بها، وفي عادة العرب من يشبب لا يزوج بمن شبب بها.
- الحديث عن الحرب والمعركة التي دارت بين"نوفل" وأهل"ليلى" وأسر والدها، هذا لم يكن لها وجود في القصة العربية، وكذلك أسر "ليلى".
- رفض "ليلى" أن تكون زوجا له، ولكن في الأصل العربي ما يفيد أنه تم الزواج العادي...
- إصرار الملك على مقابلة "مجنون" وما جرى من حديث مع رسول الملك، ثم إحضاره..
- ذكر روايات أفغانية أن "ليلى" تزوجت من ابن سلام، في حين أن الروايات العربية تؤكد أن اسمه "ورد".

- النهاية: هناك تشابه تقريبا بين النهاية العربية لقصة مجنون وليلى مع قصة مجنون ليلى الأفغانية، فيجعل نهايتها صوفية حيث ينتقل قيس من حبه لليلى إلى الحب والعشق الالهي...

- المنحى الصوفي لقصة ليلى والمجنون في الأدب البشتوي: انتقل الغرض الرئيس الذي دارت حوله القصة من الحب العذري في الأصل إلى العشق الصوفي في الأدب البشتوي، فقيس" مجنون" لم يحب ليلى ليزوجها، بل كان يحبها للحب نفسه، لأنها أهل لكل حب، فإذا كان مجنون قد أحبها لحاجة في نفسه، فقد أصبح العشق يملك عليه كل وجوده، وليس له فيه اختيار... وغاية العشق الصوفي في الاتحاد بين قلبي العاشق والمعشوق، و إن لم يتم وصال مادي. ومن المعاني الصوفية؛ التي ركز عليه الشاعر سكندر خان وغيره؛ قصة العزوبية وإصرار قيس على رفض أي زواج، والزواج عند المتصوفة هو أحد العلائق الدنيوية تشغل عن العبادة... ومن المعاني الصوفية؛ تجنبهم أكل اللحم، والاعتماد على العشب، وهذا الذي ألزم"قيس" به نفسه، وهذا هو مقام الزهد.

وكذلك من معاني الصوفية: عطف المجنون كصوفي على الحيوان، والنبات...

مما سبق ذكره نجد أن مفهوم العالمية يكمن في توحيد وتقريب الآداب في أجناسها اللغوية والأدبية، حيث لعب دورا مهما في تقريب تلك الآداب.

الهوامش:

- أبوعلي، القالي (1926 م) شذور الأمالي والنوادر، طبعة دار الكتب المصرية.
- أبوالفرج، الأصفهاني(1967م) الأغاني، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة مصر.
- أبوالقاسم، الحسن بن محمد النيسابوري(1924م) عقلاء المجانين طبعة القاهرة.
- الأنطاقي(1302هـ) داود تزيين الأسواق في أخبار العشاق، طبعة القاهرة سنة.
- ختك، سكندر خان(1358 هـ ش) ليلى او مجنون، طبع أكادمية علوم أفغانستان عام.
- فرحات، يوسف(1999م) ديوان ليلى مجنون، طبعة رابعة دار الكتاب العربي بيروت عام.

الهوامش

(1) الأصفهاني(1967 م) الأغاني 2/ 6-8، طبع دار الكتب المصرية القاهرة .
(2) أبو القاسم ،الحسن بن محمد، النيسابوري(1924م) عقلاء المجانين، ص 9- 10 طبع القاهرة.
(3) الأغاني، الأصفهاني 3/2.
(4) الأغاني، الأصفهاني 15/2.
(5) المرجع السابق 36/2.
(6) الامالي شذور والنوادر(1926 م) أبوعلي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي 216/1 طبع دار الكتب.
(7) الأنطاقي، داود(1302ه) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، طبعة القاهرة سنة ص.31 ...
(8) المصدر السابق ص 57..
(9) الأغاني، الأصفهاني 26/2.
(10) المصدر السابق26/2.
(11) فرحات، يوسف، ديوان مجنون ليلى ص 129. طبعة رابعة دار الكتاب العربي بيروت عام 1999م.
(12) ا الأغاني، الأصفهاني 58/2.
(13) فرحات، يوسف، ديوان مجنون ليلى ص 130..
(14) الأغاني، الأصفهاني 2/ 22.
(15) فرحات، يوسف، ديوان مجنون ليلى ص 14.
(16) فرحات يوسف، ديوان مجنون ليلى ص 82.
(17) لأغاني، الأصفهاني 35/2.
(18) ختك، سكندر خان، ليلى او مجنون ص 18 طبع أكادمية علوم أفغانستان عام 1358 ه ش.
(19) ختك، سكندر خان(1358 ه ش)، ليلى او مجنون ص 18 طبع أكادمية علوم أفغانستان..
(20) ختك، سكندر خان، ليلى او مجنون ص 45.
(21) المصدر السابق ص 85.
(22) ختك، سكندر خان ليلى اومجنون ص 105.
(23) المصدر السابق ص 106.
(24)المصدر السابق ص 134.
(25) ختك، سكندر خان ، ليلى اومجنون ص 139.
(26) المصدر السابق ص 142.